سورة الدخان

مكّيّة إلّا قولَه: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا﴾[1] الآية [الدخان، ٤٤/١٥]،
وهي[2] سبع وخمسون، أو[3] تسع وخمسون آيةً.[4]

/ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ [٧٤و]

﴿حمٓ ۝١ وَالْكِتَٰبِ الْمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾

﴿حمٓ ۝ وَالْكِتَٰبِ الْمُبِينِ﴾ الكلام فيه كالذي سلَف في السورة السابقة.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ أي: الكتابَ المبينَ الذي هو القرآن ﴿فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ هي ليلة القَدْر. وقيل: ليلة البَراءة. ابتُدِئ فيها إنزالُه، أو أُنزلَ فيها جملةً إلى السماء الدنيا مِن اللوح، وأملاه جبريل عليه السلام على السَّفَرة، ثمّ كان يُنزله على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم نُجومًا في ثلاث وعشرين سنةً، كما مرّ في سورة الفاتحة.

ووصفُها بالبركة لِما أنّ نزول القرآن مستتبع للمنافع الدينيّة والدنيويّة بأجمَعها، أو لِما فيها مِن تَنزّل الملائكة والرحمة، وإجابةِ الدعوة، وقَسمِ النعمة، وفَصلِ الأقضية، وفَضيلةِ العبادة، وإعطاءِ تمام الشفاعة لرسول الله عليه السلام.[5] وقيل: يزيد في هذه الليلة ماءُ زمزم زيادةً ظاهرة.

﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ استئناف مبيّن لِما يقتضي الإنزال، كأنّه قيل: إنّا أنزلناه لأنّ مِن شأننا الإنذار والتحذير مِن العقاب. وقيل: جواب للقسَم، وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾... إلخ اعتراض. وقيل: جواب ثانٍ بغير عاطِف.

---

١ س ي - قليلًا.
٢ ي - وهي
٣ س: وقيل.
٤ ي: سبع أو تسع وخمسون آيةً.
٥ س: صلّى الله عليه وسلّم.

﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ استئناف كما قبله، فإنّ كونها مَفرِق الأمور المُحكمة، أو الملتبِسة بالحكمة الموافِقة لها يستدعي أن يَنزل فيها القرآن الذي هو مِن عظائمها. وقيل: صفة أخرى لـ﴿لَيْلَةٍ﴾،[1] وما بينهما اعتراض، وهذا يدلّ على أنّها ليلة القدر.

ومعنى ﴿يُفْرَقُ﴾ أنّه يُكتب ويُفصَل كلّ أمر حكيم مِن أرزاق العباد وآجالِهم وجميع أمورهم مِن هذه الليلة إلى الأخرى مِن السنة القابلة.

وقيل: يُبدأ في استنساخ ذلك مِن اللوح في ليلة البراءة، ويقع الفراغ في ليلة القَدْر، فتُدفع نسخةُ الأرزاق إلى ميكائيل، ونسخةُ الحروب إلى جبريل، وكذا الزلازل والخَسف والصواعق، ونسخةُ الأعمال إلى إسماعيل صاحب سماء الدنيا، وهو ملَك عظيم، ونسخةُ المصائب إلى ملَك الموت عليهم السلام.[2]

وقُرئ: "يُفَرَّقُ" بالتشديد.[3] وقُرئ: "يَفْرُقُ"[4] على البناء للفاعل، أي: يَفرُق الله تعالى كلَّ أمر حكيم. وقُرئ: / "نَفْرِقُ" بنون العظَمة.[5] [٧٤ظ]

﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦﴾

﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا﴾ نصب على الاختصاص، أي: أعني بهذا الأمر أمرًا حاصلًا مِن عندنا على مقتضى حكمتنا، وهو بيان لفخامته الإضافيّة بعد بيان فخامته الذاتيّة، ويجوز كونه حالًا مِن ﴿كُلُّ أَمْرٍ﴾[6] لتخصّصه بالوصف، أو مِن ضميره في ﴿حَكِيمٍ﴾.[7] وقد جُوّز أن يراد به مقابل النهي، ويُجعلَ مصدرًا مؤكِّدًا لـ﴿يُفْرَقُ﴾[8] لاتّحاد الأمر والفرقان في المعنى، أو لفعله المُضمَر لِما أنّ الفَرق به، أو حالًا مِن أحد ضميرَي ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾،[9] أي: آمرين، أو مأمورًا.

---

١ في الآية السابقة.
٢ الكشّاف للزمخشري، ٤/٢٧١؛ اللباب لابن عادل، ١٧/٣١١.
٣ قراءة شاذّة، مرويّة عن الحسن والأعرج والأعمش. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٣٠.
٤ قراءة شاذّة، مرويّة عن الحسن. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٣٠.
٥ قراءة شاذّة، مرويّة عن زيد بن عليّ. انظر: شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٣٠.
٦ في الآية السابقة.
٧ في الآية السابقة.
٨ في الآية السابقة.
٩ الدخان، ٤٤/٣.

﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ بدل مِن ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾.[١] وقيل: جواب ثالث. وقيل: مستأنَف.

وقوله تعالى: ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ غاية للإرسال متأخّرة عنه، على أنّ المراد بها الرحمةُ الواصلة إلى العباد، وباعث متقدِّم عليه، على أنّ المراد مبدؤها، أي: إنّا أنزلنا القرآن لأنّ مِن عادتنا إرسال الرسل بالكتب إلى العباد لأجل إفاضة رحمتنا عليهم، أو لاقتضاء رحمتنا السابقة إرسالَهم. ووضعُ "الربّ" موضعَ الضمير للإيذان بأنّ ذلك مِن أحكام الربوبيّة ومقتضياتها، وإضافته إلى ضميره عليه السلام لتشريفه.

أو[٢] تعليلٌ لـ﴿يُفْرَقُ﴾،[٣] أو لقوله تعالى: ﴿أَمْرًا﴾،[٤] على أنّ قوله تعالى:[٥] ﴿رَحْمَةً﴾ مفعول للإرسال، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ﴾ [فاطر، ٢/٣٥]، أي: يُفرَقُ فيها كلّ أمر، أو يُصدَر الأوامر مِن عندنا؛ لأنّ مِن عادتنا إرسالَ رحمتنا.

ولا ريبَ في أنّ كلًّا مِن قسمة الأرزاق وغيرِها والأوامرِ الصادرة عنه تعالى مِن باب الرحمة، فإنّ الغاية لتكليف العباد تعريضُهم للمنافع.

وقُرئ: "رَحْمَةٌ" بالرفع،[٦] أي: تلك رحمةٌ.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ تحقيق لربوبيّته تعالى، وأنّها لا تحِقّ إلّا لمَن هذه نُعوته.

﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٧﴾

﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ بدل مِن ﴿رَبِّكَ﴾،[٧] أو بيان، أو نَعْت. وقُرئ بالرفع[٨] على أنّه خبر آخَر، أو استئناف على إضمار مبتدأ.

---

١ الدخان، ٣/٤٤.
٢ وفي هامش م: عطفٌ على قوله: "بدل". «منه».
٣ الدخان، ٤/٤٤.
٤ في الآية السابقة.
٥ م - تعالى.
٦ قراءة شاذّة، مرويّة عن الحسن. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٣١.
٧ في الآية السابقة.
٨ قرأ بها نافع وأبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وابن عامر. النشر لابن الجزري، ٣٧١/٢.

﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ أي: إن كنتم مِن أهل الإيقان في العلوم، أو إن كنتم موقنين في إقراركم بأنّه تعالى / ربّ السماوات والأرض وما بينهما إذا سُئلتُم: [٧٥و] مَن خلَقَها؟ فقلتم: اللهُ، عَلِمتم أنّ الأمر كما قلنا، أو إن كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٨﴾

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ جملة مستأنَفة مقرِّرة لِما قبلها. وقيل: خبر لقوله تعالى:[١] "رَبُّ السَّمَاوَاتِ"... إلخ،[٢] وما بينهما اعتراض.

﴿يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾ مستأنَفة كما قبلها، وكذا قوله تعالى: ﴿رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ بإضمار مبتدأ، أو بدل مِن "رَبُّ السَّمَاوَاتِ" على قراءة الرفع، أو بيان، أو نَعْت له. وقيل: فاعل لـ﴿يُمِيتُ﴾، وفي ﴿يُحۡيِۦ﴾ ضمير راجع إلى ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾.[٣] وقُرِئا بالجرّ[٤] بدلًا مِن ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾[٥] على قراءة الجرّ.

﴿بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ يَلۡعَبُونَ ٩ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ١٠ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ١١ رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ١٢ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ ١٣﴾

﴿بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ﴾ ممّا ذُكر مِن شئونه تعالى غيرُ موقنين في إقرارهم، ﴿يَلۡعَبُونَ﴾ لا يقولون ما يقولون عن جِدٍّ وإذعان؛ بل مخلوطًا بهُزءٍ ولعِب.

و"الفاء" في قوله تعالى: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ﴾ لترتيب الارتقاب أو الأمرِ به على ما قبلها، فإنّ كونهم في شكّ ممّا يوجب ذلك حتمًا، أي: فانتظر لهم ﴿يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ﴾ أي: يومَ شدّةٍ ومجاعةٍ، فإنّ الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان، إمّا لضَعف بصره، أو لأنّ في عام القحط يُظلِم الهواء لقِلّة الأمطار وكثرة الغُبار، أو لأنّ العرب تُسمّي الشرّ الغالبَ دخانًا.

---

١ م - تعالى.

٢ في الآية السابقة، على قراءة الرفع.

٣ في الآية السابقة.

٤ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن محَيصن والشيرازي. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٣١.

٥ في الآية السابقة.

وذلك أنّ قريشًا لمّا استعصت على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم دعا عليهم فقال: «اللّهمّ اشدُد وَطْأَتكَ على مُضَر، واجعلها عليهم سنين كَسِني يوسف»، فأخذَتْهم سَنة حتّى أكلوا الجِيَفَ والعظامَ والعِلْهِزَ، وكان الرجل يَرى بين السماء والأرض الدخانَ، وكان يحدِّث الرجلَ ويسمع كلامه ولا يراه مِن الدخان. وذلك قوله تعالى: ﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَ﴾ أي: يحيط بهم. ﴿هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: قائلين ذلك. فمَشى إليه عليه السلام أبو سفيان ونفَرٌ معه، وناشدوه اللهَ تعالى والرحِمَ، وواعدوه إن دعا لهم وكُشِف عنهم أن يؤمنوا،[1] وذلك قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾.

وهذا قول ابن عبّاس وابن مسعود رضي الله تعالى[2] عنهم، / وبه أخذ مجاهد ومقاتل، وهو اختيار الفرّاء والزجّاج.[3] [٧٥ظ]

وقيل: هو دخان يأتي مِن السماء قَبل يوم القيامة، فيدخل في أسماع الكفرة حتّى يكون رأسُ الواحد كالرأس الحَنيذ،[4] ويَعتري المؤمنَ منه كهيئة الزكام، ويكون الأرض كلّها كبيت أُوقِد فيه ليس فيه خَصاص.[5]

وعن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «أوّلُ الآيات الدخان، ونزولُ عيسى بن مريم عليه السلام،[6] ونارٌ تخرج مِن قَعر عَدَنِ أبْيَنَ[7] تسوق الناس إلى المَحشر، قال حذيفة:[8] «يا رسول الله، وما الدخان؟»، فتلا الآية، وقال: «يَملأ ما بين المَشرق والمَغرب، يمكث أربعين يومًا وليلةً، أمّا المؤمن فيصيبه كهيئة الزكمة، وأمّا الكافر فهو كالسكران يخرج مِن مَنْخِرَيهِ وأذُنيه ودُبره».[9]

---

١ الكشّاف للزمخشري، ٢٧٣/٤. وانظر: صحيح البخاري، ١٦٠/١ (٨٠٤)؛ ٢٦/٢ (١٠٠٧)؛ وصحيح مسلم، ٤٦٦/١ (٦٧٥)؛ ٢١٥٥/٤ (٢٧٩٨).

٢ س - تعالى.

٣ وفي هامش م: كذا في اللباب. «منه». | اللباب لابن عادل، ٣١٥/١٧.

٤ الحَنِيذ: المَشوي. انظر: لسان العرب لابن منظور، «حنذ».

٥ الخَصاص: الفُرَج، مفرده: خَصاصة. انظر: لسان العرب لابن منظور، «خصص».

٦ س - عليه السلام.

٧ عَدَن أَبْيَن: بلد باليمن، نُسب الى "أَبيَن"، وهو رجل مِن حِميَر أقام بها. الجبال والأمكنة والمياه للزمخشري، ٢٣٧/١.

٨ س: خذيفة.

٩ جامع البيان للطبري، ١٩/٢١؛ الكشف والبيان للثعلبي، ٣٥١/٨.

والأوّل هو الذي يستدعيه مساق النظم الكريم قطعًا، فإنّ قوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾... إلخ ردّ لكلامهم واستدعائِهم الكشفَ، وتكذيبٌ لهم في الوعد بالإيمان المنبئ عن التذكّر والاتّعاظ بما اعتراهم مِن الداهية، أي: كيف يتذكّرون. أو مِن أين يتذكّرون بذلك، ويَفُون بما وعدوه مِن الإيمان عند كشف العذاب عنهم ﴿وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ﴾ أي: والحال أنّهم شاهدوا مِن دواعي التذكّر وموجِبات الاتّعاظ ما هو أعظم منه في إيجابهما حيث جاءهم رسول عظيم الشأن، وبيّن لهم مناهج الحقّ بإظهار آيات ظاهرة ومعجزات قاهرة تَخِرّ لها صُمُّ الجبال؟

﴿ثُمَّ تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٞ مَّجۡنُونٌ ١٤ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ ١٥﴾

﴿ثُمَّ تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ﴾ عن ذلك الرسول وهو هو، رَيثَما شاهدوا منه ما شاهدوا مِن العظائم الموجِبةِ للإقبال إليه، ولم يقتنعوا بالتولّي، ﴿وَقَالُواْ﴾ في حقّه: ﴿مُعَلَّمٞ مَّجۡنُونٌ﴾ أي: قالوا تارةً: "يُعلّمه غلام أعجمي لبعض ثقيف"، وأخرى: "مجنون"، أو يقول بعضهم كذا، وآخرون كذا، فهل يُتوقّع مِن قوم هذه صفاتهم أن يتأثّروا بالعِظة والتذكير؟ وما مَثَلُهم إلّا كمَثَل الكلب، إذا جاعَ ضَغا،[1] وإذا شَبع طَغا.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ﴾ جواب مِن جهته تعالى عن قولهم: ﴿رَبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ﴾[2] بطريق الالتفات لمزيد التوبيخ والتهديد، وما بينهما اعتراض، أي: إنّا نكشف العذاب المعهود عنكم كشفًا قليلًا، أو زمانًا قليلًا، إنّكم تعودون إثرَ ذلك إلى ما كنتم عليه مِن العتوّ والإصرار على الكفر، وتنسون هذه الحالة.

وصيغة الفاعل في الفعلين للدلالة على تحقّقهما لا محالةَ، ولقد وقع كلاهما حيث كشفه الله تعالى بدعاء النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فما لبِثوا أن عادوا إلى ما كانوا فيه مِن العتوّ والعِناد. ومَن فسّر "الدخان" بما هو مِن الأشراط قال: إذا جاء الدخان تضوَّر المعذَّبون به مِن الكفّار والمنافقين وغوّثوا، وقالوا:

---

١ ضَغَا يَضْغُو ضَغْوًا وضُغاءً: صَوّتَ وصاحَ. انظر: لسان العرب لابن منظور، «ضغا».

٢ الدخان، ١٢/٤٤.

﴿رَبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾،[١] فيكشفه الله تعالى عنهم بعد أربعين يومًا، فرَيثما يكشفه عنهم يرتدّون ولا يتمهّلون.

﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ أي: يومَ القيامة. وقيل: يومَ بدر. وهو ظرف لِما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ لا لِـ﴿مُنتَقِمُونَ﴾؛ لأنّ "إنّ" مانعة عن ذلك، أي: يومئذ ننتقم، إنّا منتقمون. وقيل: هو بدل مِن ﴿يَوْمَ تَأْتِى﴾... إلخ.[٢]

وقُرئ: "نُبطِشُ"،[٣] أي: نَحمل الملائكة على أن يَبطِشوا بهم البطشةَ الكبرى؛ وهو التناول بعُنف وصَولة، أو نَجعلُ البطشةَ الكبرى باطشةً بهم. وقُرئ: "نَبْطُشُ" بضمّ "الطاء"،[٤] وهي لغة.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾﴾

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ أي: امتحنّاهم بإرسال موسى عليه السلام، أو أَوقَعناهم في الفتنة بالإمهال وتوسيع الرزق عليهم. وقُرئ بالتشديد،[٥] للمبالغة، أو لكثرة القوم.

﴿وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ على الله تعالى، أو على المؤمنين، أو في نفسه؛ لأنّ الله تعالى لم يبعث نبيًّا إلّا مِن سَراة قومه وكِرامهم.

﴿أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾﴾

﴿أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ﴾ أي بأن أدُّوا إليّ بني إسرائيل، وأرسِلوهم معي، أو بأن أدُّوا إليّ يا عبادَ الله حقَّه مِن الإيمان وقَبول الدعوة. وقيل: ﴿أَنْ﴾ مفسِّرة؛ لأنّ مجيء الرسول لا يكون إلّا برسالة ودعوة. / وقيل: مخفّفة مِن الثقيلة، أي: جاءهم بأنّ الشأن أدّوا إليّ... إلخ. [٧٦ظ]

---

١ الدخان، ١٢/٤٤.

٢ الدخان، ١٠/٤٤.

٣ قراءة شاذّة، مرويّة عن الحسن وطلحة. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٣١.

٤ قرأ بها أبو جعفر. النشر لابن الجزري، ٢/٢٧٤.

٥ قراءة شاذّة، مرويّة عن الحسن. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٣١.

وقوله تعالى: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ تعليل للأمر، أو لوجوب المأمور به، أي: رسولٌ غيرُ ظَنِين، قد ائتمنَني الله تعالى على وَحيِه وصدَّقني بالمعجزات القاهرة.

﴿وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾﴾

﴿وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ﴾ أي: لا تتكبّروا عليه تعالى بالاستهانة بوَحيه وبرسوله. و﴿أَن﴾ كالتي سلَفت.

وقوله تعالى: ﴿إِنِّي آتِيكُم﴾ أي: مِن جهته تعالى ﴿بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ تعليل للنهي، أي: آتيكم بحجّة واضحة لا سبيلَ إلى إنكارها. و﴿آتِيكُم﴾ على صيغة الفاعل أو المضارع. وفي إيراد الأداء مع الأمين والسلطانِ مع العَلاء مِن الجزالة ما لا يخفى.

﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾﴾

﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾ أي: التجأتُ إليه وتوكّلت عليه ﴿أَن تَرْجُمُونِ﴾ مِن أن ترجُموني، أي: تُؤذوني ضَربًا أو شَتمًا، أو أن تقتلوني. قيل: لمّا قال: ﴿وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ﴾[1] توعّدوه بالقتل. وقُرئ بإدغام "الذال" في "التاء".[2]

﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ﴾ أي: وإن كابَرتم مقتضى العقل، ولم تؤمنوا لي، فخلّوني كَفافًا، لا عليّ ولا لي، ولا تتعرَّضوا لي بشرٍّ ولا أذًى، فليس ذلك جزاءَ مَن يدعوكم إلى ما فيه فَلاحكم. وحملُه على معنى: فاقطعوا أسباب الوصلة عنّي، فلا موالاةَ بيني وبين مَن لا يؤمن؛[3] يأباه المقام.

﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿فَدَعَا رَبَّهُ﴾ بعد ما تَمّوا على تكذيبه عليه السلام ﴿أَنَّ هَٰؤُلَاءِ﴾ أي: بأنّ هؤلاء ﴿قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾ وهو تعريض بالدعاء عليهم بذِكر ما استوجبوه به،

---

١ في الآية السابقة.

٢ قرأ بها أبو عمرو وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف، وهشام بخُلف عنه. النشر لابن الجزري، ٢/١٦.

٣ قاله الزمخشري في الكشّاف، ٤/٢٧٤.

ولذلك سُمِّي دعاءً. وقُرئ بالكسر[١] على إضمار القول. قيل: كانَ دعاؤه: "اللّٰهمّ عجّل لهم ما يستحقّونه بإجرامهم".[٢] وقيل: هو قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس، ١٠/٨٥].

﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا﴾ بإضمار القول، إمّا بعد "الفاء"، أي: فقال رَبُّه: أسْرِ بعبادي، وإمّا قبلَها، كأنّه قيل: قال: إن كان الأمر كما تقول فأَسْرِ بعبادي، أي: ببني إسرائيل، فقد دبّر الله تعالى أن تتقدّموا. وقُرئ بوَصل "الهمزة"،[٣] مِن "سَرَى". ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ أي: يتّبعكم فرعون وجنوده بعد ما علِموا بخروجكم.

﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا﴾ مفتوحًا، ذا فجوة واسعةٍ، أو ساكنًا على هيئته بعد ما جاوزته، / ولا تضرِبه بعصاك لينطبق، ولا تغيّره عن حاله ليدخله القِبط. ﴿إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾ وقُرئ: "أَنَّهُمْ" بالفتح،[٤] أي: لأنّهم. [٧٧و]

﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿كَمْ تَرَكُوا۟﴾ أي: كثيرًا تركوا بمصر ﴿مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۞ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ محافلَ مزيّنةٍ، ومنازلَ محسّنة.

﴿وَنَعْمَةٍ﴾ أي: تنعُّم ﴿كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ﴾ متنعّمين. وقُرئ: "فَكِهِينَ".[٥]

﴿كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿كَذَٰلِكَ﴾ "الكاف" في حيّز النصب، وذلك إشارة إلى مصدر فعل يدلّ عليه ﴿تَرَكُوا۟﴾،[٦] أي: مثلَ ذلك السَّلب سلبناهم إيّاها، ﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾.

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن عمير والحسن وابن أبي إسحاق. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٣١.

٢ الكشّاف للزمخشري، ٤/٢٧٥.

٣ قرأ بها نافع وأبو جعفر وابن كثير. النشر لابن الجزري، ٢/٢٩٠.

٤ قراءة شاذّة، غير منسوبة. الكشّاف للزمخشري، ٤/٢٧٦.

٥ قرأ بها أبو جعفر. النشر لابن الجزري، ٢/٣٥٤.

٦ الدخان، ٤٤/٢٥.

وقيل: مثلَ ذلك الإخراج أخرجناهم منها. وقيل: في حيّز الرفع على الخبريّة، أي: الأمرُ كذلك، فحينئذ يكون ﴿أَوْرَثْنَٰهَا﴾ معطوفًا على ﴿تَرَكُوا۟﴾،[1] وعلى الأوّلَين على الفعل المقدَّر.

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ مجاز عن عدم الاكتراث بهَلاكهم، والاعتدادِ بوجودهم. فيه تَهكّم بهم وبحالهم المنافيةِ لحال مَن يعظم فَقْدُه، فيُقال له: "بكَت عليه السماء والأرض"، ومنه ما رُوي: «إنّ المؤمن لَيَبكي عليه مُصَلّاه، ومحلُّ عبادته، ومصاعِدُ عمله، ومَهابطُ رزقه، وآثارُه في الأرض».[2] وقيل: تقديره: أهلُ السماء والأرض.

﴿وَمَا كَانُوا۟﴾ لمّا جاء وقتُ هلاكهم ﴿مُنظَرِينَ﴾ مُمهَلين إلى وقتٍ آخَر، أو إلى الآخرة؛ بل عُجِّل لهم في الدنيا.

﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾

﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ بما فعلنا بفرعون وقومِه ما فعلنا ﴿مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ مِن استعباد فرعون إيّاهم، وقتلِ أبنائهم، واستحياءِ نسائهم على الخَسف والضَّيم.

﴿مِن فِرْعَوْنَ﴾ بدل مِن ﴿ٱلْعَذَابِ﴾،[3] إمّا على جعله نفسَ العذاب لإفراطه فيه، وإمّا على حذف المضاف، أي: عذابِ فرعون، أو حالٌ مِن ﴿ٱلْمُهِينِ﴾، أي: كائنًا مِن فرعون. وقُرئ: "مَن فِرْعَونُ"،[4] على معنى: هل تعرفونه مَن هو في عُتوّه وتَفرعُنه؟

---

١ الدخان، ٢٥/٤٤.

٢ عن ابن عبّاس رضي الله عنهما موقوف عليه في **الكشّاف** للزمخشري، ٢٧٧/٤. ونحوه في **جامع البيان** للطبري، ٤٢/٢١؛ و**شعب الإيمان** للبيهقي، ٥٥٩/٤ (٣٠١٨).

٣ في الآية السابقة.

٤ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن عبّاس رضي الله عنهما. **البحر المحيط** لأبي حيّان، ٤٠٤/٩.

وفي إبهام أمره أوّلًا وتبيينه بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ ثانيًا مِن / الإفصاح عن كُنه أمره في الشرّ والفساد ما لا مزيد عليه. [٧٧ظ]

وقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ إمّا خبر ثانٍ لـ﴿كَانَ﴾، أي: كان متكبّرًا مُسرفًا، أو حال مِن الضمير في ﴿عَالِيًا﴾، أي: كان رفيع الطبقة مِن بين المسرفين، فائقًا لهم بليغًا في الإسراف.

﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٢ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْـَٔايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ۝٣٣﴾

﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ﴾ أي: بني إسرائيل ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي: عالِمين بأنّهم أحِقّاء بالاختيار، أو عالِمين بأنّهم يَزيغون في بعض الأوقات، ويكثُر منهم الفرَطات، ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ جميعًا لكثرة الأنبياء فيهم، أو على عالَمي زمانهم.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْـَٔايَٰتِ﴾ كفَلْق البحر، وتظليلِ الغَمام، وإنزالِ المَنّ والسلوى، وغيرِها مِن عظائم الآيات التي لم يُعهَد مِثلُها في غيرهم ﴿مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ﴾ نِعمةٌ جليّة، أو اختبارٌ ظاهر؛ لننظر كيف يعملون.

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ۝٣٤ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ۝٣٥ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٣٦﴾

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني: كفّارَ قريش؛ لأنّ الكلام فيهم، وقصّةُ فرعونَ وقومِه مَسوقة للدلالة على تماثلهم في الإصرار على الضلالة، والتحذيرِ عن حُلول مثل ما حلّ بهم. ﴿لَيَقُولُونَ ۞ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ﴾ أي: ما العاقبةُ ونهايةُ الأمر إلّا الموتةَ الأولى المزيلةَ للحياة الدنيويّة. ولا قصدَ فيه إلى إثبات موتةٍ أخرى، كما في قولك: "حَجّ زيد الحِجّة الأولى ومات".

وقيل: لمّا قيل لهم: إنكم تموتون موتةً تعقُبها حياة، كما تقدّمَتكم موتة كذلك، قالوا: "ما هي إلّا موتتنا الأولى"، أي: ما الموتة التي تعقُبها حياةٌ إلّا الموتةَ الأولى. وقيل: المعنى: ليست الموتةُ إلّا هذه الموتةَ دون الموتةِ التي تعقُب حياةَ القبر كما تزعمون. ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾ بمَبعوثين.

﴿فَأْتُوا بِـَٔابَآئِنَآ﴾ خطاب لمَن وعدهم بالنشور مِن الرسول عليه السلام والمؤمنين. ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فيما تعِدونه مِن قيام الساعة وبعثِ الموتى، ليظهر أنّه حقّ. وقيل: كانوا يطلبون إليهم أن يدعوا الله تعالى فيُنْشِرَ لهم قصيَّ بن كلاب ليشاوروه، وكان كبيرَهم ومَفزعَهم / في المهمّات والملمّات.[1] [٧٨و]

﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَٰهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿أَهُمْ خَيْرٌ﴾ ردّ لقولهم، وتهديد لهم، أي: أهُم خير في القوّة والمنَعَة اللّتين يُدفَع بهما أسباب الهلاك، ﴿أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ هو تُبّع الحِمْيَري الذي سار بالجيوش وحَيّر الحِيرة[2] وبنى سمرقندَ. وقيل: هدَمها.[3] وكان مؤمنًا، وقومُه كافرين، ولِذلك ذمّهم الله تعالى دونه، وكان يكتب في عنوان كتابه: "بسم الذي ملَك بحرًا وبحرًا"، أي: بحارًا كثيرةً.

وعنِ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «لا تسبّوا تُبّعًا، فإنّه كان قد أسلم».[4] وعنه عليه السلام: «ما أدري أكان تُبّعٌ نبيًّا أو غير نبيّ».[5] وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما:[6] «أنّه كان نبيًّا».[7]

وقيل لملوك اليمن: التبابعة؛ لأنّهم يُتبَعون، كما يقال لهم: الأقيال؛ لأنّهم يُتَقَيَّلون.[8]

﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ عطفٌ على ﴿قَوْمُ تُبَّعٍ﴾، والمرادُ بهم: عاد وثمود وأضرابُهم مِن كلّ جبّار عنيد أولي بأسٍ شديد. والاستفهام لتقرير أنّ أولئك أقوى مِن هؤلاء.

---

١ الكشّاف للزمخشري، ٢٧٩/٤.

٢ "الحِيرة" مدينة بقُرب الكوفة، ومعنى "حَيَّرها": بناها ونظَّمَ أمرَها وصيَّرها مدينةً، كما يقال: مَدَّن المدينةَ، ومَصَّرَ مِصرًا. حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، ١٠/٨.

٣ فسمّيت لذلك "سمرقند"؛ إذ معناها الحَفر والتخريب. حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، ١٠/٨. وانظر: جامع البيان للطبري، ٤٩/٢١.

٤ مسند أحمد، ٥١٩/٣٧ (٢٢٨٨٠)؛ المعجم الكبير للطبراني، ٢٩٦/١١ (١١٧٩٠).

٥ الكشف والبيان للثعلبي، ٣٥٤/٨؛ الكشّاف للزمخشري، ٢٨٠/٣.

٦ م - رضي الله عنهما.

٧ الكشّاف للزمخشري، ٢٨٠/٣؛ المحرّر الوجيز لابن عطيّة، ١٥٩/٥.

٨ "يُتَقَيَّلون" بالبناء للمجهول، مِن قولهم: "تَقَيَّلَ فلان أباه" إذا اقتدى به كما قاله الراغب في مفرداته، ص ٦٨٩. حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، ١٠/٨.

وقوله تعالى: ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ استئناف لبيان عاقبة أمرِهم. وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾ تعليل لإهلاكهم، ليُعلَم أنّ أولئك حيث أُهلكوا بسبب إجرامهم مع ما كانوا في غاية القوّة والشدّة فلَأنْ يُهلَكَ هؤلاء وهم شركاء لهم في الإجرام أضعفُ منهم في الشدّة والقوّة أولى.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي: ما بين الجنسين. وقُرئ: "وَمَا بَيْنَهُنَّ".[1] ﴿لَٰعِبِينَ﴾ لاهِينَ مِن غير أن يكون في خلقها غرض صحيح وغاية حميدة.

﴿مَا خَلَقْنَٰهُمَا﴾ وما بينهما ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ استثناء مفرّغ مِن أعمّ الأحوال، أو أعمِّ الأسباب، أي: ما خلقناهما ملتبِسًا بشيء مِن الأشياء إلّا ملتبِسًا بالحقّ، أو ما خلقناهما بسببٍ مِن الأسباب إلّا بسبب الحقّ الذي هو الإيمان والطاعة والبعث والجزاء.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنّ الأمر كذلك، فيُنكرون البعثَ والجزاء.

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾﴾

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾ أي: فصلِ الحقّ عن الباطل، وتمييزِ المُحقّ مِن المُبطِل، وفصلِ الرجل عن أقاربه وأحبّائه ﴿مِيقَٰتُهُمْ﴾ وقتُ موعدهم ﴿أَجْمَعِينَ﴾. / وقُرئ: [٧٨ظ]
"مِيقَاتَهُمْ"[2] بالنصب على أنّه اسم ﴿إِنَّ﴾، و﴿يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾ خبرُها، أي: إنّ ميعاد حسابهم وجزائِهم في يوم الفَصل.

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى﴾ بدل مِن ﴿يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾،[3] أو صفة لـ﴿مِيقَٰتُهُمْ﴾،[4] أو ظرف لِما دلّ عليه ﴿ٱلْفَصْلِ﴾، لا لنفسه. ﴿مَوْلًى﴾ مِن قَرابة أو غيرها ﴿عَن مَّوْلًى﴾ أيُّ مولًى كان

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن عمير. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٣٢.

٢ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن عمير. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٣٢.

٣ في الآية السابقة.

٤ في الآية السابقة.

﴿شَيْـًٔا﴾ أي: شيئًا مِن الإغناء، ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ الضمير لـ﴿مَوْلًى﴾ الأوّل باعتبار المعنى؛ لأنّه عامّ.

﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ﴾ بالعفو عنه وقَبول الشفاعة في حقّه. ومحلّه الرفع على البدل مِن "الواو"، أو النصب على الاستثناء. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الذي لا يُنصَرُ مَن أراد تعذيبه، ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ لمَن أراد أن يرحمه.

﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾

﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ﴾ وقُرئ بكسر "الشين".[1] وقد مرّ معنى "الزقّوم" في سورة الصافّات.[2]

﴿طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ أي: الكثيرِ الآثام، والمراد به الكافر، لدلالة ما قبله وما بعده عليه.

﴿كَٱلْمُهْلِ﴾ وهو ما يُمْهَلُ في النارِ حتّى يذوب. وقيل: هو دُرديّ الزيت.[3] ﴿يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ﴾ وقُرئ بـ"التاء"[4] على إسناد الفعل إلى "الشجرة". ﴿كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ﴾ غليانًا كغَلْيه.

﴿خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾﴾

﴿خُذُوهُ﴾ على إرادة القول، والخطابُ للزبانية. ﴿فَٱعْتِلُوهُ﴾ أي: جُرُّوه، و"العَتْلُ" الأخذ بمَجامع الشيء وجَرِّه بقَهرٍ وعنف. وقُرئ بضمّ "التاء"،[5] وهي لغة فيه. ﴿إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ أي: وسطه.

﴿ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ﴾ كان الأصل: "يُصَبّ مِن فوق رءوسهم الحميم"، فقيل: "يُصبّ مِن فوق رءوسهم عذاب هو الحميم" للمبالغة،

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن اليماني. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٣٢.

٢ الصافات، ٦٢/٣٧.

٣ دُرديّ الزيت وغيره: ما يبقى في أسفله. الصحاح للجوهري، «درد».

٤ قرأ بها نافع وأبو جعفر وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي وخلف وشعبة عن عاصم ورَوح عن يعقوب. النشر لابن الجزري، ٣٧١/٢.

٥ قرأ بها نافع وابن كثير وابن عامر ويعقوب. النشر لابن الجزري، ٣٧١/٢.

ثمّ أضيفَ "العذاب" إلى "الحَميم" للتخفيف، وزِيدَ "مِن" للدلالة على أنّ المصبوب بعضُ هذا النوع.

﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ۝٤٩ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ۝٥٠﴾

﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ أي: وقولوا له ذلك استهزاءً به وتقريعًا له على ما كان يزعُمه، رُوي أنّ أبا جهل قال لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «ما بين جبلَيها[1] أعزُّ ولا أكرمُ منّي، فواللهِ ما تستطيع أنت ولا ربّك أن تفعلا بي شيئًا».[2] وقُرئ بالفتح،[3] أي: لِأَنّك، أو عذابَ أنّك.

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ أي: العذابَ ﴿مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ﴾ تشكّون / وتمارون فيه. [٧٩و]
والجمع باعتبار المعنى؛ لأنّ المراد جنس الأثيم.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ۝٥١ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٥٢ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ۝٥٣﴾

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ أي: عن الكفر والمعاصي ﴿فِى مَقَامٍ﴾ في موضع قيام، والمراد المكان على الإطلاق، فإنّه مِن الخاصّ الذي شاع استعماله في معنى العموم. وقُرئ بضمّ "الميم"،[4] وهو موضع إقامة. ﴿أَمِينٍ﴾ يأمَن صاحبُه الآفات والانتقالَ عنه، وهو مِن "الأَمْن" الذي هو ضدّ الخيانة، وصفَ به المكان بطريق الاستعارة، كأنّ المكان المُخيف يخون صاحبَه بما يَلقى فيه مِن المكاره.

﴿فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ بدل مِن ﴿مَقَامٍ﴾[5] جيء به دلالةً على نزاهته واشتماله على طيّبات المآكل والمشارب.

﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ خبر ثانٍ، أو حال مِن الضمير في الجارّ، أو استئناف. و"السُّندُس" ما رَقّ مِن الحرير، و"الإستَبْرق" ما غلُظ منه، مُعرّب.

---

١ وفي هامش م: أي: جبلَي مكّة؛ وهما أبو قُبيس وثَور. «منه».

٢ الكشف والبيان للثعلبي، ١٠/٩٢ (القيامة، ٣٤/٧٥)؛ الكشّاف للزمخشري، ٤/٢٧٢.

٣ قرأ بها الكسائي. النشر لابن الجزري، ٢/٣٧١.

٤ قرأ بها نافع وأبو جعفر وابن عامر. النشر لابن الجزري، ٢/٣٧١.

٥ في الآية السابقة.

﴿مُتَقَٰبِلِينَ﴾ في المجالس ليستأنس بعضهم ببعض.

﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ۝٥٤ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ۝٥٥﴾

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: الأمرُ كذلك، أو كذلك أثَبْناهم، ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ على الوصف. وقُرئ بالإضافة،[1] أي: قَرنّاهم بهِنّ. و"الحُور" جمع "الحَوراء"، وهي البيضاء، و"العِين" جمع "العَيناء"، وهي العظيمة العينَين. واختُلِف في أنّهنّ نساء الدنيا أو غيرُها.

﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ﴾ أي: يطلبون ويأمرون بإحضار ما يشتَهونه مِن الفواكه، لا يتخصّص شيء منها بمكان ولا زمان ﴿ءَامِنِينَ﴾ مِن كلّ ما يسُوءهم.

﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٥٦﴾

﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ بل يستمرّون على الحياة أبدًا. والاستثناء منقطع، أو متّصل على أنّ المراد بيان استحالة ذَوق الموت فيها على الإطلاق، كأنّه قيل: لا يذوقون فيها الموتَ إلّا إذا أمكَن ذَوق الموتة الأولى حينئذ. ﴿وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ وقُرئ مشدَّدًا[2] للمبالغة في الوقاية.

﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٥٧﴾

﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ﴾ أي: أُعطُوا ذلك كُلّه عطاءً وتفضّلًا منه تعالى. / وقُرئ [٧٩ظ]
بالرفع،[3] أي: ذلك فضل. ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ الذي لا فوزَ وراءه؛ إذ هو خلاص عن جميع المكاره ونَيلٌ لكلّ المطالب.

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝٥٨ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ۝٥٩﴾

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ فذلكة للسورة الكريمة، أي: إنّما أنزلنا الكتاب المبين بلُغتك كي يفهمه قومك، ويتذكّروا به،

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن عكرمة. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٣٢.

٢ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن جبير. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٣٢.

٣ قراءة شاذّة، مرويّة عن اليماني. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٣٢.

ويعملوا بموجَبه، وإذ لم يفعلوا ذلك ﴿فَٱرْتَقِبْ﴾ فانتظر ما يحُلّ بهم، ﴿إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾ ما يحُلّ بك.

رُوي عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «مَن قرأ ﴿حمّ﴾ الدخان ليلةَ جمعة أصبح مغفورًا له».[1]

---

[1] مسند أبي يعلى، ١١/١٠٥ (٦٢٣٢)؛ عمل اليوم والليلة لابن السنّي، ص ٦٢٩.